الولايات المتحدة والامم المتحدة

تركيبة ممركزة تعمل لمصلحة الولايات المتحدة

(4-2)

بيترغوان
ترجمة عادل العامل

ارادت بريطانيا. في اثناء الجدال الذي سبق تشكيل (الامم المتحدة)- ان تمتلك (الامم المتحدة) تركيبة مؤقلمة بمجلس من الامريكان ومجلس اوروبا ومجلس شرق آسيا تاركة جنوب آسيا والشرق الاوسط وافريقيا (أي معظم الامبراطورية البريطانية) غير منظمة، وقد كان لهذا المخطط جاذبياته لدى الرئيس الامريكي روزفلت،فقد كان يدعم عزم واشنطن على الاحتفاظ بسيطرتها على امريكا الجنوبية والوسطى، بينما لا يتضمن أي اقصاء للولايات المتحدة عن اوروبا أو شرق آسيا. وسوف يتم زرع القوة الامريكية بثبات في المانيا، ويكون في استطاعتها استخدام عباءة وصاية الامم المتحدة لانشاء قواعدها في البحر المتوسط وغرب افريقيا والهند الصينية وكوريا وفورموزا. وفي الوقت الذي يشبع فيه هذا التصور الاقليمي حاجات الولايات المتحدة،فانه يوفر حماية افضل لاوروبا ولدور القيادة البريطانية في اوروبا، على نحو ما كان يقدر ونستون تشرتشل رئيس وزراء بريطانيا آنذاك. واذا كان روزفلت قد اختار استراتيجية لمرحلة ما بعد الحرب تقوم على اساس اقامة توازنات مع قوى ما وراء البحار، ولا سيما قوى اوراسيا،فان خطة تشرشل تتميز بجاذبية خاصة، فالترتيب الاقليمي الطليق سيمكن الولايات المتحدة من (الوقوف فوق النزاعات) النزاعات المحلية في أوروبا او الشرق الاقصى، في الوقت الذي تكون قادرة على التدخل عند الضرورة لمنع قيام التحالفات المعادية. لكن روزفلت نبذ مخطط تشرشل. بعد شيء من التردد، وانحدر -بدلاً من ذلك- الى تركيبة ممركزة تحت مجلس ادارة عالي من القوى العظمى. كان وزير خارجيته كورديل هول- المحكوم بفكرة نظام تجاري حر (يفتح اسواق العالم للصناعة الامريكية)- مصمماً على ازاحة جميع (مجالات النفوذ) الاقليمية التي يمكنها ان تعترض رؤيته المركزة على التجارة بطريقة ضيقة نوعاً ما. وعند مناقشة باسفولسكي لخطر مثل هذه الجهات- وبعد ارتكابه لزلة تذكير رئيسه بان اليابانيين قد وصفوا (مجال ازدهارهم المشترك) باعتباره (مبدأ مونرو) لآسيا- علق كورديل هول بالقول: "اذا ما طلبنا بالامتياز،فان اي شخص آخر سيفعل ذلك، الامر الذي سيدفع السوفييت الى اتحاد خاص بهم"، وهو توقع تنبغي مقاومته، على وفق هذا المنطق، وكان روزفلت متعاطفاً مع مثل هذه الاعتبارات وكان يعرف ايضاً ان هول انما ينطق بلسان قوى فعالة في الكونغرس. وعلى اية حال، فان روزفلت استطاع -على نحو ما كان يعتقد- ان ينشيء تركيبة ممركزة تعمل ما بوسعها من اجل المصالح الامريكية.

لقد كان تحركه الرئيس لضمان الهيمنة الامريكية داخل مجلس ادارة عالمي يتمثل في لعبة للورقة الصينية. وقد اوضح ذلك قائلاً:

ان (اربعة رجال شرطة) وليس ثلاثة ستحفظ النظام في انحاء العالم". وقبل ان يستخرج هذا الارنب من القبعة، جعل من المؤكد ان حكومة تشيانغ كاي شيك الصينية، الفاسدة تماماً، ستلعب اللعبة باخلاص كتابع امريكي. وهذا ما ضمن للولايات المتحدة صوتين من اربعة. وكان واضحاً، وفقاً للحد الذي ذهبت اليه بريطانيا، ان لندن ستكون معتمدة لوقت طويل جداً على القوة المالية والعسكرية الامريكية، حالما تتوقف الحرب. وهذا سيحول الصوتين الى ثلاثة في جميع القضايا الحاسمة بالنسبة لواشنطن.

* ولكن، ماذا عن الاتحاد السوفييتي؟

في هذه المرحلة، كانت اولوية واشنطن الساحقة هي توسيع القوة التجارية الامريكية عبر العالم الرأسمالي، وكان هذا هو الهدف البنيوي العظيم الذي يواجه البيت الابيض آنذاك، وليس ابتلاع اتحاد الجمهوريات السوفييتية بكامله. وقد بدا الامر كما لو ان ثلاثة اصوات، زائداً احترام اهتمامات الامن الجيوبوليتيكي السوفييتي، ستكون الصيغة التي يمكنها ان تفصل فعلها.

وعلى كل حال،فان تشرشل كان مفزوعاً وغاضباً من خطة روزفلت عندما علم بها في شهر تشرين الاول من عام 1942، وقد اشار تكراراً الى (الولايات المتحدة بعينها ذات الصوت الحزمة (FAGGOT-VOTE)، ولم يواجه اية مشكلة في اكتشاف الرابطة التي تجمع الخديعة الصينية والرؤية المركزة للأمم المتحدة والمخططات الامريكية بشأن الامبراطورية البريطانية. كان روزفلت يبطن ان الثلاثة الكبار "سيكونون صوت حزمة الى جانب الولايات المتحدة في اية محاولة لتصفية الامبراطورية البريطانية ما وراء البحار".

وقد حاول ايدن- الذي كان آنذاك وزير خارجية بريطانيا -ان يحذر روزفلت من ان الصين يمكن "ان تجتاحها الثورة بعد الحرب".

وعندما لم يتزحزح روزفلت، اشعل تشرشل معركة طويلة من اجل (صوت حزمة) خاص به يتمثل -من دون امل كبير- في فرنسا، التي اعتزم ان يرى امبراطوريتها الخاصة تبنى من جديد بعد الحرب، لكبح المخططات الامريكية المتعلقة بالهند الصينية وتونس والسنغال.

وقد قاوم روزفلت، بقوة هذا التصور محافظاً على علاقاته الدبلوماسية مع حكومة فيشي في فرنسا بعد وقت طويل من يوم العمليات لتحرير باريس عام 1944، رافضاً اي اعتراف بادارة ديغول وحتى عندما كان (الاربعة الكبار) يناقشون تركيبة (الامم المتحدة) في دمبارتون اوكس في جورج تاون في شهر ايلول من عام 1944 فان روزفلت لم يعترف بادارة ديغول. لنلاحظ ان هذا المؤتمر الاخير كان عليه ان ينشق الى مؤتمرين، لان الروس لن يجلسوا مع حكومة صينية لم تعلن الحرب حتى ذلك الوقت على المانيا، وحتى عندما تخلى روزفلت اخيراً عن فيشي واعترف بحكومة ديغول،فان واشنطن كانت تسير ببطء نحو الاعتراف الكامل بفرنسا بوصفها عضواً في (الخمسة الكبار)،فلم يغز ديغول- الذي لم يكن لديه الكثير من الاسباب للفوز بمناصرة تشرشل- بأي مقعد في يالطا، وحتى عندما اجتمع مؤتمر سان فرانسسكو، فان معاملة واشنطن له اغرته بقيادة تمرد ضد دمبارتون اوكس، وقد رفض اشغال مقعده كعضو دائم في مجلس الامن. لكن ما حصل في سان فرانسسكو نفسها ان فرنسا لانت والتحقت بالخمسة الكبار، بينما كان الامريكان مكرهين على التخلي عن خططهم لتجزئة الامبراطورية الفرنسية كمواقع مناسبة للقواعد الامريكية.

نموذج روزفلت

على الرغم من صراعات القوة الهادرة هذه،فان انصراف روزفلت الى مشروع (الامم المتحدة) في الشهور والاسابيع الاخيرة من حياته، ابقى قوة دافعة محلية وعالمية كانت كافية لضمان ان يتمخض مؤتمر سان فرانسسكو -خلال الاشهر التي اعقبت موته- عن هيئة كانت- في جميع الاساسيات على نحو ما خطط لها هو ومعاونوه، وكانت قطعة بديعة من الهندسة المؤساتية.

وقد انطوت اتفاقية (الامم المتحدة)، منذ البدء، على شعارين موروثين عن (عصبة الامم)، احدهما هو ادعاؤها الاحقية بالمجال العالمي الشامل،وكان هذا مجرد وعد في سان فرانسسكو بما ان قوى المحور قد اقصيت والامبراطوريات الاوروبية لم تدمر بعد، ولكن بمرور الوقت، وبفضل اعادة بناء المانيا واليابان في ما بعد الحرب وانهاء الاستعمار الاستيطاني في آسيا وافريقيا، ستتفوق الامم المتحدة كثيراً على العصبة في الميزان والوقف.

والشعار الآخر هو التكريس المجدد للسلم وحل النزاعات المسلحة. كانت هناك امور أخرى كثيرة في البلاغة البيانية للوثيقة وحشد من وكالات الامم المتحدة المتخصصة التي ستظهر الى الوجود في آخر الامر، غير ان هذين الشعارين كانا -ويبقيان- الرمزين الرئيسين للهيئة العالمية.

وفي المؤتمر التأسيسي، كان الشعار الثاني هو الاكثر مرئية ما دام الاول كان ينطوي على عنصر من المشروطية السياسية اللاحقة به: فلم يكن مسموحاً بالحضور لا لالمانيا واليابان فقط، بل لاية قوى ما دامت حليفة لهما، بما في ذلك الدول المحايدة التي سبق ان كانت في

المحور. ويوضح شليسنجر ان شعار

للكرة الارضية داخل إكليل من الزهور، قد صمم بعناية بحيث تقصى الارجنتين من المشهد بسبب الصداقة التي كانت تربطها بالمانيا النازية.

غير ان الربط المدروس بين عالمية الامم المتحدة والتألف التحالف قد ميز الهيئة منذ ذلك الحين. ويبدو ذلك اكثر وضوحاً في تركيب الخمسة الكبار واقصاء المانيا واليابان عن هذه المرتبة.

وفي الوقت نفسه،فان بيان سان فرانسسكو عن مبدأ المساواة السيادية للدول والانفتاح امام العضوية الممكنة لجميع الامم، قد حمل رسالة مناشدة تقول ان المنظمة، ذات يوم، يمكن ان تجمع داخلها ممثلين لشعوب العالم كله. وقد وفر هذا للأمم المتحدة نوعاً فريداً من الجو الشعبي: الامن الديمقراطية السياسية والعدالة الاجتماعية حسب، بل الشمولية العالمية كذلك. ولم يكن هناك ابداً اي تساؤل عن حكومة عالمية هنا فقد عارضت ادارة روزفلت، على الدوام وبقوة، كل اولئك الذين مارسوا ضغطاً من اجل ولو حالة جنينية من هذه الحكومة، ولكن اتساع الأمم المتحدة العرقي اعطاها، على الدوام، مظهراً قوياً. وان كان غامضاً. من السلطة، وهذا اقوى من دورها المستمر كنقطة بؤرية للدبلوماسية في مناطق النزاعات المسلحة الأولية والفعلية في جميع انحاء العالم تقريباً. وقد حاول اصحاب القضايا بثبات استخدام الأمم المتحدة كمنبر لجهودهم الهادفة لكسب التأييد لقضاياهم، تماماً مثلما استخدمتها الولايات المتحدة بثبات كهيئة تلقي عليها مسؤولية ادارة او احتواء النزاعات التي لا تميز الولايات المتحدة نفسها فيها اية مصلحة استراتيجية امريكية عاجلة.

فاذا كانت هذه هي الوعود العبادية التي وفرتها الامم المتحدة،فان الصفقة الروزفلتية كانت تسعى في الوقت نفسه، لضمان ألاّ تصبح هذه المنظمة عقبة امام مواصلة الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة. وقد تعرض المثل الاعلى العالمي للتلف بفعل حرمان الجمعية العامة من اية سلطة صنع القرار مركزة لدى (مجلس الأمن) من دون ادنى ادعاء بالاستناد الى اي مبدأ تمثيلي غير القوة العمياء، وهذا الصدع الجوهري بين مجال الجمعية العامة وحكم القلة في مجلس الأمن، غير المفهوم، كان. في الواقع. موضوع نقاش طويل في ادارة روزفلت. وكان روزفلت نفسه على الطرف الأقصى من نطاق السلطة السياسي، ويميل الى منح سلطة الإملاء الكامل لـ (رجال الشرطة الاربعة). وقد لعب بفكرة اضافة البرازيل اليهم، كتابع آخر للولايات المتحدة، غير ان مرؤوسيه اقنعوه بالعدول عن ذلك، واقتنع، بدلاً من هذا،

بالمجيء بست دول اخرى تنتجها

الامن، كزخرفة للحصول على الامتيازات الكيفية لفريقه الرباعي في الجندرمة العالمية، وكانت قوى النقض الكاسح تؤخذ بنظر الاعتبار لجعل الاعضاء المنتخبين ضعفاء، وتجعل من اي مبدأ تمثيلي عديم الفائدة.

تنسيق الولادة

هكذا كان الوقف حين وصلت وفود 46 دولة الى سان فرانسسكو في نيسان من عام 1945 لوضع اللمسات النهائية على المخططات التمهيدية العريضة لمشروع (الأمم المتحدة) الذي كانت الولايات المتحدة قد ابتكرته في دمبارتون اوكس، وجرى صقله في واشنطن على مدى الأشهر التالية. وقد توفي روزفلت قبل ذلك بأسبوعين، فأرسل وزير خارجيته الأخير إدوارد ستيتينيوس، الرئيس السابق لصناعة الفولاذ الامريكية، على مضض من قبل ترومان ليشرف على الاجراءات. ويوفر كتاب ستيفن شليسنغر هنا تقريراً نابضاً بالحياة عن السيطرة الامريكية الكاملة على المناسبة، فقد تم اخراج الجلسات الكاملة في (دار الاوبرا)، حيث جلست الوفود كمن يحضر حفلات برودواي الموسيقية، بعد ان قام مصمم هذه الحفلات بتحويل قاعة الاستماع على النحو الذي يتفق والمناسبة، فكانت هناك اربعة اعمدة ذهبية رُبطت معاً باغصان الزيتون، ونصف دائرة من الأعلام التي اعتلت قنوات الرماح، واربعة وعشرون ضوءاً كشّافاً (بمصافي زرق لغرض التأثير التجميلي)، وفرقة خارج المسرح تعزف موسيقى عسكرية لتزيين العرض الأول، وكانت هناك امور مملة اكثر استمعت لها اللجان المتخصصة في (مبنى المحاربين القدماء) القريب، غير ان شقة الوزير ستيتينيوس في فندق فيرمونت لم تكن على هذه الشاكلة، ولم تحفل بهذه المظاهر التي توحي بالهمود والعجز، بل انها شهدت النشاط الحقيقي، حين دعيت القوى العظمى الاخرى للاجتماع لغرض التشاور مع مضيفها، وفي الوقت نفسه، كانت الاستخبارات العسكرية الامريكية تقوم، في قاعدة الجيش في الحصن الاسباني القديم على بعد اميال قليلة، باعتراض مرور جميع البرقيات التي ترسلها الوفود الى بلدانها، وكانت رسائلها المحلولة الشفرة تجد مكانها على مائدة افطار السيد ستيتينيوس بينما كان مكتب التحقيقات الفيدرالي يتعقب تحركاتها في المدينة، وحركات جماعات الضغط المعادية للاستعمار والجماعات (الهدامة) الاخرى المحتشدة حول المؤتمر، ويبقى الكثير مما جرى التطفل عليه طي الكتمان الى يومنا هذا!! وقد كانت المراقبة الشاملة للوفود الاجنبية (وبعض وفود الولايات المتحدة كذلك)

ترفقها تسليات الثروة

دمبارتون اوكس الاكثر التقاء آنذاك كان ستيتينيوس قد اخذ المفاوضين البريطاني والسوفييتي سراً الى ملاهي مانهاتن المترفة (حيث برنامج منتصف الليل الترفيهي في نادي ديموند هورسشو الليلي، وكاثرين هيبورن في راديو سيتي، وكؤوس الكوكتيل مع نيلسون روكفلر) والى منازل فرجينيا الفخمة (مع كؤوس مشروب الجلاب على السطح، بينما يعلق ستيتينيوس على روائع النظر، "كما لو انه لا يملكه فقط، وانما قد رسمه ايضاً"، على حد قول زميل بريطاني). وفي سان فرانسسكو، كانت افلام هوليود تعرض بالمجان في مسرح خاص محدد لمشاهدة (الأمم المتحدة)، بينما كانت هناك جولات سياحية جوية في (منطقة الخليج) بواسطة منطاد، ونزهات بحرية بمراكب خفر السواحل، وودائع خاصة من الويسكي السكوتلندي والبوربون والشمبانيا والروم والبراندي والسجائر والكثير مما يبهر العقول. وهكذا، وسط هذا الوابل من الفن، بدد المؤتمر نفسه في قضيتين رئيسيتين، احداهما هي الموقع الذي سيحتله الاتحاد السوفييتي داخل التركيبة المصممة لتغطية القوة العالمية الامريكية، كما تصورها روزفلت. وقد وصل مولوتوف وغروميكو مع خلاصات من دمبارتون اوكس لم تتبدل، فسلطات الفيتو الخاصة بالاعضاء الدائمين في مجلس الأمن يجب ان تشمل امور أليست جوهرية فقط، بل اجرائية ايضاً، طالما انه ليس هناك ما هو اسهل من ان تنزلق الثانية سريعاً نحو الأولى، كما اوضح غروميكو. وفي الواقع، كانت افكار ستالين مركزة على تأمين الموافقة الغربية على السيطرة السوفييتية على بولندة ما بعد الحرب، التي كان قد نصب فيها. بسرعة. حكومة تابعة، وهو ما اغضب الشيوخ الجمهوريين وقسماً كبيراً من الصحافة الامريكية والرأي العام.

ولم يتردد ترومان، الذي غالباً ما فكر بأن يكون اكثر تمسكاً بمبدأ (معاداة الشيوعية) من روزفلت، فالتزم خطاً اكثر تشدداً ضد الاغتصاب الشمولي للسلطة في اوروبا الشرقية، ولكنه قام. كي يقطع العقدة الغوردية* فوق مجال قوى الفيتو. بارسال هاري هوبكنز الى موسكو ومعه تعليمات تجعل من الواضح أن "بولندة، ورومانيا، وبلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، والنمسا ويوغسلافيا، ولاتفيا، وليتوانيا، واستونيا، لا تتميز بشيء بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة"، مضيفاً. بتعبير ساخر فاق كل كلام قاله روزفلت ان اي انتخاب يمكن ان يكون حراً، كانتخابات توم بيندرغاست في كانساس سيتي او بوس هاغو في شيكاغو.

وبهذا التوكيد المقدم من الديمقراطي الصغير (البطولي) القادم من ميسوري، سقط ستالين معارضته للتصور الامريكي عن الفيتو بحركة من يده، منصرفاً عنه باعتباره امراً لا اهمية له.

وانتهى المؤتمر التأسيسي المتعلق بالأمم المتحدة بانسحاب سوفييتي من كل نقاط الجدال الرئيسة. وكان لدى المتشددين في وفد الولايات المتحدة. وفي مقدمته الشيخ الجمهوري فاندنبيرغ. كل الاسباب التي تدفعه الى الشعور بالابتهاج.

فمن اين جاءت سهولة هذا النصر الامريكي في سان فرانسسكو؟

لقد اضفى ستالين اهميته على سيطرته على اوروبا الشرقية اكثر بكثير من اهتمامه بتركيبة المؤسسات العالمية الجديدة، وكان. كي يكسب القبول الذي يريده في امرما. يبدي اي قول ذي مغزى بشأن الأمور الاخرى، فقد كان -لافتقاره الاسطوري الى الشك سياسياً- ريفياً ساذجاً خارج التجاويف الكئيبة للحزب الشيوعي السوفييتي، التي نشأ فيه امبراطوريته، وكان (المارشال). الذي استغفله هتلر بسهولة واثر فيه حتى شيانغ. كاي شيك. موضع لهراء وهدهدة روزفلت الذي كان يعتقد بأن تحالف فترة الحرب ربما يصبح قسماً مسالماً لعالم ما بعد الحرب، وهو ما فكر به ستالين جدياً كمنحدر نحو الغرب الخاص به، راضياً بأقل الاجزاء في الشرق: جزر الكوريل، وهي استثناء من الاحتلال في اليابان، والتخلي عن نصف كوريا، ومن ثم، لم يسمح لجندي سوفييتي واحد بأن يضع قدماً في روما، بينما تم التنازل عن برلين لقوة سيطرة حليفة مشتركة بدون ان تأخذ القوات الامريكية او البريطانية لجأ واحداً منها. وعندما حقق ستالين تأمين اوروبا الشرقية مادياً ولو بوجود ثغرة برلين الغربية. فان ما كان ينشده في الاساس موافقة انكلو. امريكية على الحقائق القائمة على الأرض، وقد كان على استعداد تام للتضحية من اجلها بأي امر مبدئي في بنية الامم المتحدة، متعلقاً بالاعتقاد بأن قوى الفيتو العظمى ستزيل اي خطر منها.

---

* العقدة الغوردية عقدة احكم شدها غورديوس ملك فرجيا، وقد زعموا انه لن يحلها الا سيد آسيا المقبل، فجاء الاسكندر الكبير وقطعها بسيفه (المترجم).

الأكراد والفيدرالية والديموقراطية في العراق الجديد

اميد سعيد بابان

اذا اخذنا، جدلا، بوجهة نظر المؤرخين والاثاريين ، فان العرب (الكلدو - أشوريين) والاكراد والتركمان سكنوا بلاد الرافدين منذ اقدم العصور التاريخية واسسوا فيها الحضارة والامبراطوريات منذ اكثر من ستة الاف عام فان الاكراد قد وجدوا في شمال العراق وجنوب شرقي تركيا وشمال غربي ايران بكثافة ، منذ ذلك التاريخ ، وهو الامر الذي تنبه اليه الحلفاء في الحرب العالمية الاولى عند تقسيم تركة الدولة العثمانية - وفق اتفاقية سايكس بيكو - الى دول عدّة ، ليس على اساس خصوصيات شعوب المنطقة وانما بمقتضى مصالح دول الحلفاء المنتصرة التي فكرت في اقامة دولة للاكراد - ايضا - وفق معاهدة (سيفر) التي لم تبرم نتيجة المساومات الدولية لرسم حدود الدول الحديثة في المنطقة .

في مثل هذه الظروف والمساومات الدولية وتكالب الدول الاستعمارية الاوروبية على استغلال ثروات منطقة الشرق الاوسط ، ولدت الدولة العراقية الحديثة عام 1921 بتتويج الامير فيصل الاول ملكا على العراق ، لتكتمل ملامحها السياسية الممتدة من تكريت شمالا الى الفاو جنوبا، بينما بقيت (ولاية الموصل) خارج نطاق هذه المنظومة السياسية المترجرجة ، نتيجة المفاوضات الجارية بين الحلفاء الذين احتلوا امركز الامبراطورية العثمانية (اسطنبول) وبين الجنرال مصطفى كمال باشا رئيس حكومة انقرة لكي يجري تقرير مصير (ولاية الموصل) وطرد الغزاة الاجانب.

ورغبة من الحلفاء في ممارسة الضغط على مصطفى كمال باشا ، بعد ان رفض معاهدة (سيفر) ، ولاجباره على التوقيع على معاهدة (لوزان)، قام الانكليز - الذين احتلوا العراق - حكومة الشيخ محمود الحفيد في كردستان العراق ، لتكون دولة ملكية مستقلة الى جانب الدولة الملكية العراقية الجديدة . غير ان قيام الانكليز بتعيين المستشارين في الوزارات التسع لحكومة الشيخ محمود الحفيد والتدخل في كل صغيرة وكبيرة في شؤون ملك كردستان العراق، الذي اصدر القوانين التنظيمية للبلاد و العديد من الصحف واقام العلاقات الاقليمية والدولية لحكومته المستقلة، ادى بعد ثمانية اشهر من تاريخ تشكيلها الى اندلاع القتال بين قوات الشيخ الحفيد وقوات الاحتلال الانكليزي التي وجدت بان لا مجال (التعاون الاكراد مع قوات الاحتلال على حساب استقلالهم وحريتهم)، فالقوا القبض على الشيخ الحفيد ونفوه الى خارج البلاد، ثم اعادوا حساباتهم من جديد، ولاسيما بعد اكتشاف النفط في كركوك مركز ولاية الموصل واقليم شهرزور السابق فقرروا الحاق ولاية الموصل - ذات الاكثرية الكردية - بالدولة العراقية التي ابدى قادتها الجدد مرونة في التعاون مع المحتل الاجنبي ، في وقت رفض فيه الاكراد مثل هذا التعاون معهم . ولقد جاء هذا الالحاق القسري بعد صراعات عنيفة على صعيد الحكومة العراقية وكذلك في اروقة (عصبة الامم) للبت في امر هذا الاقليم العراقي من جهة ، والمساومات الجارية بين الحلفاء المنتصرين وحكومة انقرة من جهة اخرى ، دون مراعاة لخصوصية الاقليم واكثريته الكردية ، واخذها بنظر الاعتبار في تلك الصراعات الذاتية والمصلحية معا. واذا كان تخلي الانكليز عن مساندة القضية الكردية اول خديعة للاكراد يمارسها الغرب بحقهم وتخليا رسميا عن (حق تقرير المصير) الذي اعلنه الرئيس الامريكي ولسن عام 1916 وفلاديمير لينين عام (1917) فان الاكراد اخذوا المبادرة بانفسهم للمطالبة بحقوقهم القومية في تقرير مصيرهم من خلال مباحثات باريس وجنيف منذ عام 1926 . غير ان قيام (الجمهورية التركية) كدولة شرق اوسطية جديدة عام 1923 وابرام المعاهدة العراقية - البريطانية عام 1932 القى بكل طموحات الاكراد الى بحر الدردنيل ، فما كان منهم الا الالتفاف على السلاح لخوض غمار الكفاح المسلح للمطالبة بحقوقهم المهضومة عام 1937 بقيادة الزعيم مصطفى البرزاني. ولا نود هنا الدخول في تفاصيل تلك المعارك البطولية ولا تخلي الانكليز ، مرة اخرى، عام 1946 عن وعودهم بمساندة (جمهورية مهاباد الاشتراكية) كاول دولة كردية عصرية في كردستان ايران ولا عن حرب الابادة التي شنتها قوات الانقلاب البعثي الفاشي عام 1963 ضد الاكراد في كردستان العراق - بل في العراق كله - ولا عن بيان 11 اذار 1970 الذي اعترف بالحكم الذاتي - المفرّغ مضمونا - للاكراد ولا عن الابادة الجماعية لاكراد حلبجة عام 1988 التي مارستها الطغمة العسكرية - السياسية الفاشية لنظام الدكتاتور (صدام حسين) المتعطش للحروب، وانما نريد التطرق الى مواقف اخوتنا العرب - ولاسيما العراقيون منهم - من الاكراد ، الذين اكدوا مرارا في ادبياتهم السياسية (أن العرب والاكراد شركاء في الوطن العراقي)، بل انهم صاغوا اسس تلك الشراكة في دساتيرهم المؤقتة والمستدامة - عرفيا وقانونيا - وفي اغانيهم واناشيدهم الوطنية . فاول ، اود ان اتحدث عن موقف اخوتنا العرب من القضية الكردية اليوم ، بعد ان تخلصوا من مطالبة تركيا بهذا الاقليم الغني بالبترول وبعد ان سقط نظام صدام حسين الذي اذاق العراقيين - وبالاخص الاكراد - انواع الذل والاستبداد والقتل والتشريد ، فقد بدأ العرب بمعارضة الفيدرالية الكردية ، التي اتفقت فصائل المعارضة العراقية وبجميع اتجاهاتها على الاقرار بها، كما ساندتها واشنطن لدى اجتماعاتها المتعددة مع الزعيمين الكرديين جلال الطالباني ومسعود البرزاني . فماذا عدى مما بدى ؟.

لقد درس الانكليز ، منذ بداية القرن الماضي - عن طريق الاستشراق ونتيجة استعمارهم للبلاد العربية لاكثر من نصف قرن - العقلية العربية الاسلامية، ووجدوا انه يمكن قراءتها لمعرفة اساليب اختراقها عن بعد ، دون التدخل المباشر في معطياتها وها هي القوات الامريكية والحليفة تفيد من هذا الفهم لتضرب القضية الكردية مجددا ، بعد ان لاحت في الافق بشائر حلها حلا ديموقراطيا وانسانيا . وإلا ، بماذا يفسر القارئ الكريم ، اقتتال العرب والاكراد لمدة تزيد على النصف قرن ، ولم يتم حل القضية الكردية - التي تعدام المشاكل - برغم الاعتراف دستوريا بان العرب والاكراد شركاء في الوطن العراقي ؟ وماذا ستكون نتيجة حوار الطرشان ، لاسيما بعد ان القى بريمر الحاكم المدني الامريكي للعراق بكرة الفيدرالية في سلة الحكومة العراقية القادمة ؟.

اننا اليوم امام ولادة جديدة لعراق ديموقراطي في اطار دولة القانون والمؤسسات الدستورية التي تحترم حقوق الانسان وآراء الآخر - مهما كانت منطلقاته - وصولا الى ارساء قواعد الحكم على اسس ثابتة لا تفضي - مرة اخرى - الى الدكتاتورية والاستبداد بالرأي او الوصاية الفكرية على الرأي العام العراقي . فهل بامكان العراقيين - كل العراقيين - تجاوز الولادة المشوهة الاولى للقضية الكردية ، باجراء عملية سياسية - جراحية جديدة لمشاكل عراق المستقبل ؟.

انني لا اجد بصيص نور في الافق حول هذا الموضوع ، لان القادة السياسيين الحاليين لعراق ما بعد صدام يراعون مصالح وخصوصيات دول الجوار اكثر من رعايتهم لخصوصية العراق والعراقيين ، ولا يأخذون بنظر الاعتبار تجارب الشعوب الاخرى - بعد سقوط جدار برلين - في حل مشاكل الشرق الاوسط . فقد كان الاتحاد السوفييتي دولة عظمى ومنافسة للولايات المتحدة الامريكية بحيث استطاع حفظ التوازن الدولي لاكثر من سبعين عاما ، ولكن عندما وجد قادة الاتحاد السوفييتي انه اصبح عالة على الشعب الروسي وعلى شعوب الاتحاد السوفييتي قرروا التخلي عنه ، ليتحول الى الجمهوريات المستقلة التي يضمها اليوم اتحاد الدول المستقلة . كما كان الاتحاد اليوغسلافي وتشيكوسلوفاكيا دولتين مستقلتين وكبيرتين ومتقدمتين صناعيا واقتصاديا في العالم ، ولكنهما اعترفتا بحق الشعوب المنضوية تحت مظلتهما ، فكان ميلاد الدول الجديدة في البلقان ، كما كان الامر في الاتحاد السوفييتي السابق . بل ان الانكليز عندما رسموا خارطة البلاد العربية - بالمسطرة والفرجال - جعلوا من قضاء (الكويت) العراقي التابع لولاية البصرة (دولة) عصرية، ومن مدن المنامة والدوحة وابو ظبي والشارقة دولا - قبل توحيدها - وامارات مستقلة وذات كيانات سياسية مرموقة. في حين اننا لسنا على استعداد اليوم لبناء وحدتنا الوطنية - باقامة الفيدرالية مع الاكراد - لحل مشاكلنا المزمنة وللتفرغ جميعا لمرحلة البناء القادمة، لاننا نؤمن بالديماغوغية وبالكلمات الفضفاضة في جدل بيزنطي لا يسمن من جوع . ومن هنا ، فانني اشم رائحة نتنة في هذا الجو المشحون بالتوتر وبرغبة الاكثرية في التحكم بالاقليات - من جديد - ليس حماية لمصالحهم هم ، وانما بالاتفاق مع دول الجوار ، ومن خلال الحروب العبثية لمصلحة الاخرين - منذ تاسيس الدولة العراقية - بحيث غدا العراق، الغني والقوي ، بلدا فقيرا ومريضا واميا وسادت الدعوة فيه للعراق العربي الصغير ، الذي يملك جميع خيوط اللعبة ، بدلا من عراق كبير يدخل التناقضات في اضعافها، لان ساستنا يحاولون تنفيذ رغبات ومصالح دول الجوار ودول العالم القوية . فهناك من يمثل ايران وتركيا وسوريا وامريكا وانكلترا وفرنسا وغيرها ، فماذا بقي للعراقيين لكي يدافعوا عنه او يقولوا شيئا حوله ؟

في حين يجب على العراقيين ، بعد ان تخلصوا من الطغمة الصدامية الدكتاتورية المتسلطة على رقابهم ، ان يتفقوا على برنامج وطني ديموقراطي فيدرالي لمصلحة جميع مكونات الشعب العراقي ، ضمانا لحقوقهم القومية واعترافا بحق تقرير المصير ، وهو الامر الذي لم يجرؤ العراقيون - الى اليوم - في البت في امره.

فهل ينتظر العراقيون ان يخلصنا الآخرون من وشم هذه الاخوة الزائفة والتسلط الفكري ، مثلما خلصونا من صدام حسين واعوانه الطغاة وبنوا لنا دولنا ورسموا لنا اطارها الجغرافي - السياسي ؟.

هل نحن مصابون بالعقم الفكري وبعدم المبادرة الذاتية لحل مشاكلنا ، بحيث كتبت علينا التبعية الى ابد الآبدين ؟ .

انني اترك اجوبة هذه الاسئلة المتعددة والشائكة لحصافة القراء ولاراء النخبة السياسية - الفكرية المتنفذة في عراق اليوم.